المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 16 -- العدد 01 -- جوان 2024 ص 70 - 101

جهود علماء الجزائر في مجال الفقه الإسلامي (خلال العهد العثماني والاحتلال الفرنسي)

Efforts of Algerian scholars in the field of Islamic jurisprudence (During the Ottoman era and the French occupation)

الطيب برمضان bertayeb1986@yahoo.com	تخصص: شريعة وقانون	كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة/ الجزائر

DOI :

الإرسال: 2023/03/13 **القبول**: 2024/06/08 **النشر**: 2024/06/25

ملخص:

عرفت الجزائر (المغرب الأوسط) منذ الفتح الإسلامي علماء أمجاد متميزين، ومؤثرين حتى على مستوى العالم الإسلامي، وقد ساهم العلماء الجزائريون برصيد معرفي معتبر، وثروة علمية زاخرة في مختلف علوم الشريعة الإسلامية، خاصة في مجال الفقه الإسلامي، وإن كان غطى على بعض الفترات الجمود الفقهي، والتعصب للآراء، وتوقف عجلة الاجتهاد والتجديد، وقد جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء- باختصار- على أهم الجهود التي بذلها فقهاء الجزائر خلال فترتين هامتين من تاريخ الجزائر، تمتدان قرابة الأربعة قرون ونصف؛ الأولى خلال العهد العثماني (1518-1830م)، والثاني أثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1962م)، مع ذكر ما امتازت به الأوضاع الثقافية في تلك الفترة المهمة، وأهم النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة هو الوقوف على الدور الفعال الذي قام به أعيان الفقهاء الجزائريين في العهدين-رغم فشو الجهل والتقليد والتعصب-، ومدى مواكبتهم للأحداث والقضايا التي كانت تحيط ببيئاتهم، وتستجد في حياة الناس، والتميز العالي في خدمة الفقه الإسلامي من طرف فقهاء مجتهدين، مجددين، ومتحررين؛ وبخاصة المذهبين المنتشرين في البلاد: المالكي، والإباضي.

كلمات مفتاحية : جهود؛ علماء؛ فقه؛ العثماني؛ الاحتلال.

Abstract:

Algeria (Middle Maghreb) has known, since the Islamic conquest, distinguished and influential scholars of glory, even at the level of the Islamic world. Intolerance of opinions, halting the wheel of idjtihad and renewal, This research paper came to shed light - briefly - on the most important efforts made by Algerian jurists during two important periods in the history of Algeria, spanning nearly four and a half centuries. The first during the Ottoman era (1518-1830 AD), and the second during the French occupation (1830-1962 AD), with a mention of what distinguished the cultural conditions in that important period, The most important findings of this study are to

identify the effective role played by the Algerian jurists in the two covenants - despite the rampant ignorance, imitation and fanaticism - and the extent to which they kept pace with the events and issues that surrounded their environments, emerging in people's lives, and the high distinction in the service of Islamic jurisprudence on the one hand. Jurisprudents are diligent, reformer, and liberal; Especially the two sects spread in the country: Maliki and Ibadhi.

Keywords : efforts; scholars; jurisprudence; Ottoman; occupation.

مقدمة :

يعتبر العلماء العمود الفقري لأي أمة، وثروتها الحية، وعماد نهضتها، وسر خلاصها من براثن الجهل والاستغلال، وأوضار الاحتلال والإذلال، وقد زخرت الجزائر المجيدة بعلماء أفذاذ حموا عرينها، وذبوا عنها عوادي العدى، وحافظوا على هويتها، وكيانها الروحي الذي كتب له الخلود في أرجائها، وقد امتاز الفقه الإسلامي في الجزائر من جملة العلوم لإسلامية بفترات من النشاط والبعث والتجديد، كما تخللته فترات من الخمود، والجمود، والاجترار، والتكرار عبر تاريخه الطويل الممتد لقرون من الزمن.

والذي يعنينا طرحه في هذه الورقة البحثية هو مميزات هذا الفقه في العهد العثماني (1518-1830م)، ثم من بعده زمن الاحتلال الفرنسي (1830-1962م)؛ لأنه قريب من زمننا الحاضر؛ وهو ما نراه معيارا لسبر هذا الفقه، والتعرف على مميزاته، وهناته في نفس الوقت؛ لنجُسَّ ماضيه، وما آل إليه حاضره، وما يستشرف لمستقبله، ومن هنا جاءت فكرة إعداد هذه الورقة البحثية؛ لرصد أبرز الجهود التي قدمها علماء الجزائر في الحقل المعرفي الخاص بالفقه الإسلامي خلال العهدين (العثماني – الفرنسي)؛ باعتباره من أنبل العلوم الإسلامية، وأشدها حساسية؛ لارتباطه بأنظمة الحكم والقضاء في أي بلد هذا أولا، وثانيا لوصف أرضيته المعرفية التي قام عليها أساس بنائه في هذا البلد، ومحاولة لتلمس معالمه الكبرى التي كونت وجوده، واستعصت على كل من رام اجتثاثه، أو تبديله بمنظومات فقهية أجنبية وافدة غريبة عنه.

ولا شك أن علماء الجزائر بذلوا قصارى جهدهم، كل على حسب موقعه، ومدى نفوذه وتأثيره من أجل الإبقاء على ثوابته، ومحاولة تجديده وبعثه في حلة عصرية قشيبة على حسب اجتهاداتهم ومقارباتهم، وما توافر بين أيدهم آنذاك من أدوات معرفية تبلغهم

الوصول إلى مقصودهم إلى أن بلغوه إلى الجيل الذي خلفهم، منيطين بهم استئناف مرحلة الخدمة، والتجديد، والتطوير خاصة في عصرنا الذي عرف التكنولوجيات المتطورة، والعلم الرقمي المكثف.

ومن أجل الأهمية التي يكتسيها موضوع إسهامات علماء الجزائر، وأعيان فقهائها في خدمة علوم الشريعة الإسلامية، خاصة أهم روافدها؛ وهو الفقه الإسلامي، منذ العهد العثماني إلى الاستقلال؛ فإن أهم الإشكالات المثارة حول موضوعه يمكن إجمالها في الآتي:

1. ما هي مميزات الأوضاع الثقافية التي كانت تغطي على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وإبان الاحتلال الفرنسي؟
2. ما هي أهم جهود علماء الجزائر، وإسهاماتهم في علم الفقه الإسلامي خلال هذه الفترة التاريخية المحورية، والطويلة الممتدة قرابة الأربعة قرون والنصف قرن؟

ولقد حظي موضوع جهود علماء الجزائر خلال العهد العثماني، والاحتلال الفرنسي بعناية المؤرخين، والباحثين؛ أمثال مؤرخ الجيل الدكتور أبو القاسم سعد الله في موسوعته الفريدة: "التاريخ الثقافي للجزائر"، والمؤرخ الماجد توفيق المدني وغيرهما، وهناك بعض الدراسات الأكاديمية المعاصرة التي اقتبسنا منها في هذا البحث، والذي يميز هذه الدراسة هو محاولة جمع ما تفرق في هذه الدراسات، ولم شتاتها في نسق واحد بشكل مقتضب ومركز بحسب الإمكان.

ويمكن تلخيص أهم أهداف هذا البحث في الآتي:

1. التعرف على أهم الأوضاع الثقافية التي غطت البيئة الجزائرية خلال العهد العثماني، وأثناء الاحتلال الفرنسي.
2. الوقوف على أهم الجهود المبذولة من طرف علماء الجزائر في خدمة وتجديد الفقه الإسلامي خلال الفترتين، وبخاصة المذهبين (المالكي والإباضي)؛ المنتشرين في البلاد، مع الإشارة إلى بعض الجهود في المذهب الحنفي؛ باعتباره المذهب المعتمد عند العثمانيين آنذاك.

وسلكت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والاستقرائي بتتبع جزئيات البحث محل الدراسة من خلال مظانه؛ والتوثيق من المصادر الأصلية لكل معلومة حسب ما هو متاح Kولقد انتظمت خطة هذه الدراسة في مقدمة، ومطلبين، يتخلل كل مطلب فرعين، وخاتمة مع إيراد بعض من التوصيات، والمقترحات؛ على النحو الآتي:

مقدمة.

المطلب الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر (1518 - 1962م)

الفرع الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.

الفرع الثاني: الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي.

المطلب الثاني: جهود علماء الجزائر في مجال الفقه الإسلامي (1518 - 1962م)

الفرع الأول: جهود علماء الجزائر خلال العهد العثماني.

الفرع الثاني: جهود علماء الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي.

خاتمة مع توصيات، ومقترحات.

المطلب الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر (940- 1384هـ/1518 - 1962م)

سنتطرق في هذا المطلب إلى استجلاء أهم الأوضاع الثقافية التي استغرقت هذه المرحلة المهمة من تاريخ الجزائر؛ بداية من العهد العثماني (1518-1830م) مرورا بفترة الاحتلال الفرنسي (1830-1962م)؛ وذلك من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.

إن العهد العثماني بالجزائر أعقب مباشرة الغزو الصليبي الذي تقمصته دولة أسبانيا، وسقطت بسببه بعض مدن الشواطئ؛ كوهران وبجاية، كما تسبب هذا الغزو في انهيار ما تبقى من دولتي "بني زيان" و "بني حفص"؛ إذ كانت دولة بني زيان تهيمن على القطاع الغربي والأوسط، ودولة بني حفص تحكم بجاية، وقسنطينة من القطاع الشرقي. (بوعبدلي،1984م،الصفحة:126)

وكانت تمتاز الجزائر بالتنوع العرقي من حيث الأصول والخلفيات لمجموع المواطنين بها، وقد أدى حضور الأتراك إلى تزويدها بلحمة هامة للامتزاج الثقافي الموجود من قبل (الزياني،2013م، الصفحة:232 وما بعدها ورحلة هابنسترايت، 2007م،الصفحة:21-49)، ولتسهيل التصنيف فربما أمكن تقسيم السكان على أربع درجات اجتماعية كبرى هي: الأتراك، والمغاربة بما فيهم الكراغلة، والمسيحيون، واليهود. (سبنسر،2006م،الصفحة:97-98)

وإنما امتاز هذا العصر في الجزائر -كما كان الحال في العالم الإسلامي كله- بأمرين كبيري الأهمية: (المدني، كتاب الجزائر،1928م،الصفحة:89-90)

أولهما: الجمود الفكري: حيث اعتكف العلماء والمتعلمون على العلوم النقلية، تاركين العقل جانبا؛ حتى قال أحد علماء ذلك العصر المعدودين؛ وهو عبد القادر الراشدي الذي له تأليف في الاجتهاد والأصول:

خَـــبِّـــرَا المُـــــؤوِّلَ أنّي *** كَـــافِرٌ بـــالَّذِي قَضَتهُ العُقُول

مَا قَضَتهُ العُقُولُ لَيسَ مِنَ الدِّيـ *** ـنِ إنَّمَا الـدِّينُ مَا حَوَتهُ النُّقُول

ثانيهما: اشتداد نفوذ المرابطين و انتشار أمر الولاية والصلاح والزهد والتصوف: فأخذ الناس يقبلون على الطرق الصوفية جموعا، وأخذت هذه تنتظم، وتعمر زواياها، وكانت تلك الزوايا في أغلب الأحيان تتلقى من المريدين النذور، وتنفق قسما كبيرا من ذلك على الطلبة الذين يستقرون بالزاوية؛ لتعلم القرآن والعلوم الدينية، فلا يبرحونها حتى تتم معلوماتهم، ويقوم رجال الزاوية بكل ما يلزم أولئك المجاورين.

وبفضل الزوايا في ذلك العهد، وبفضل الكتاتيب القرآنية التي انتشرت في المدن والقرى انتشارا لا نظير له، وبفضل الدروس التي يقوم بها علماء أعلام في أغلب المساجد بكل المدن الجزائرية، انتشر العلم بين الطبقات الراقية، وقلت الأمية بين الطبقات الوسطى والعاملة، وكانت الحياة يومئذ تساعد على هذا الإقبال على العلم؛ لأن الحياة كانت بسيطة هينة لا أتعاب فيها، والناس يملكون كلهم أرضهم وديارهم؛ فلم تكن ترى هنالك من طبقات كبيرة

معدمة مملقة؛ تهمل حياتها المعنوية في سبيل القوت. (المدني،الصفحة:90 والميلي، تاريخ الجزائر،3/317-318)

ولم تخمد الحركة العلمية في هذا العصر، ولم يقف دولاب العلم والتعليم في أي ناحية من نواحي البلاد، بل كان الكثير من فضلاء الأتراك، وأعيانهم ينشطون العلم والمتعلمين بما حبسوه على تلك المشاريع من الأوقاف الغنية ذات الريع الكبير. (المدني،الصفحة:89)

وكانت الحياة الثقافية بالجزائر-إذ ذاك- ترتكز على العلوم الدينية من تفسير، وحديث، وفقه، وعقائد، وكان المذهب الفقهي السائد في البلاد "المذهب المالكي"، وبعد ارتباط دولة الجزائر بالخلافة العثمانية، عزز المذهب المالكي بالمذهب الحنفي الذي كان هو المذهب الرسمي للخلافة، وكان من آثاره تعيين شيخ الإسلام الحنفي للرئاسة الدينية بالبلاد من "الأستانة" رأسا لمدة سنتين، وكانت له مكانة؛ حيث إنه كان الشخصية الثانية بعد "الباشا"، ونظرا لرصيد المذهب المالكي عند السكان، بقي المذهب المالكي محتفظا بمكانته، وبالتصرف المطلق في ربع أحباسه، وإذا استثنينا عاصمة الجزائر، والمدية، والبليدة، نجد جل القضاة والمفتين داخل البلاد مالكيين، بل حتى العاصمة، فقد عين "الباشا حسن بن خير الدين" خطيب الجامع الأعظم المالكي "محمد بن علي الخروبي" (الحفناوي،1906م،ص483-484)، ورئيسا دينيا بها، وعزز مركزه الديني بمركز سياسي؛ وهو تعيينه سفيرا للدولة بأمر "حسن باشا بن خير الدين" تعين للوفادة على مراكش سنة 961هـ/1539م بين العثمانيين، وبين أبي عبد الله المهدي الحسني. (بوعبدلي، الصفحات 126-127 و137-138)

ويلاحظ على العهد العثماني في الجزائر قلة الإنتاج الثقافي؛ لعدم اهتمامهم بذلك الجانب الحيوي والثقافي إلا في عدد من المدن الجزائرية التي حافظت على التراث الفكري الذي ورثته..، وإن مشعل العلم قد تكفل به الجزائريون رغبة منهم في الازدهار الثقافي؛ وللمحافظة على ما توارثوه من علوم، ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي. (بوعزيز،1995م،1/157-158 والمشهداني وسلوان،2013م،الصحات:ص435-436)

ومع ذلك فقد عرفت القرون الثلاثة التي عاشتها الجزائر العثمانية إنتاجا علميا شمل مختلف الميادين، ومنها: الفقه والحديث، وعلوم القرآن، واللغة والتاريخ، والتفسير، والأدب، والشعر، والطب، والفلك ...، كل ذلك بفضل نشاط من يسميهم الشيخ البشير الإبراهيمي

"العلماء الشعبيين"، الذين توارثوا صناعة العلم خلفا عن سلف في المساجد، والمدارس، وزوايا العلم، وعن طريق التأليف، والرحلة للقاء العلماء..، وغيرها من التقاليد العلمية المعروفة عندهم. (عادل بن الحاج همال،2008م،الصفحة:13)

ويبدو أن عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الثقافية في الجزائر لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدأوه من العلوم الإسلامية والإنسانية، والاهتمام بالمكتبات، وإثرائها بالكتب والمخطوطات، والحفاظ عليها من التلف بحملها إلى أماكن آمنة، وبالتعاون مع العاملين في الجزائر؛ لرفد المدارس، والزوايا، والجوامع بتلك الكتب المختلفة، والقيام بنسخها يدويا؛ للنهوض بالواقع السيئ الذي فرض عليهم. (المشهداني وسلوان،الصفحات:439-440)

الفرع الثاني: الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي.

كان الإسلام في الجزائر هو المرجع في التشريع والتنفيذ، وهو المهيمن على العبادات والعادات، وهو المسيطر على الروحيات والماديات، وهو الموجه لكل ما يصدر عن الأفراد، والجماعات من أعمال، وكان من وراء الجهاز الحكومي طوائف من الفقهاء الشعبيين المتضلعين في فقه الأحكام أصولا وفروعا، الآخذين من فضائل علماء السلف بالنصيب الأوفى، فكان هؤلاء العلماء هم حراس الإسلام وأحكامه..، وكانوا بوحدة المذهب السائد في الفروع-وهو مذهب مالك-في مأمن من اختلاف الرأي، أو الاختلاف في الحكم؛ وهي خصوصية قل أن توجد في غير شمال إفريقيا. (آثار الإمام الإبراهيمي،5/73-74)

ومحو الشخصية الجزائرية الدينية كان يسير على نفس الوتيرة التي سار عليها الاستبداد الثقافي، وعلى الرغم من الاتفاق المبرم مع الجنرال "بورمون" الذي تعهد فيه باحترام الديانة الإسلامية ومؤسساتها، فإن كثيرا من المساجد حولت إلى كاتدرائيات وكنائس، وخاصة في مدينتي الجزائر، وقسنطينة، وعلى الرغم من القانون الذي يجعل الأديان مستقلة عن الدولة، فإن الدين الإسلامي يخضع لوصاية المستعمرين؛ لأن الحكومة هي التي تختار رجال الفتوى والأئمة، وتحدد مرتباتهم، وتحرم المسلمين حتى من حرية اختيار رجال الدين. (أجريتو،1959م،الصفحة:69)

وفي عهد الاحتلال الفرنسي حطم الاستعمار-أول ما حكم-كل الكتاتيب القرآنية، وألغى وحجر التعليم في المساجد التي دمر، وهدم أكثرها، ثم هو لم يعوض ذلك بشيء آخر..، فسياسة "التجهيل" كانت إلى جانب سياسة "التفقير" شعار الاستعمار الفرنسي في قطر الجزائر، وهو القانون الذي سار عليه منذ يومه الأول إلى يوم قيام الثورة الكبرى، وأصبح الجزائريون يتعلمون سرا في ديارهم كأنهم يرتكبون جريمة. (المدني، هذه هي الجزائر،الصفحة:140)

ولأجل أن تنجح فرنسا في تطبيق سياسة محو الشخصية الجزائرية الإسلامية، قامت بضرب الوسائل التي تحفظ هذه الشخصية؛ كتهديم المساجد، أو تحويلها إلى كنائس؛ كجامع كتشاوة، وجامع علي بتشين، وجامع علي خوجة، أو طرد الشخصيات الإسلامية المؤثرة على الشعب، والحكم عليها بالنفي والإبعاد؛ كما جرى لمفتي العاصمة محمد بن محمود الحنفي المشهور بـ"ابن العنابي"، واتهامه بمحاولة التمرد، والدعوة إلى الثورة. (قرناب، 2015م،الصفحة:53)

تلك المرحلة الحالكة التي كانت تتميز بالعنف الاستبدادي اتجاه السكان الأصليين للبلاد إلى جانب عنف معنوي، بلغ أقصى درجاته، كان يرمي إلى نفي الهوية العربية المسلمة، وتدمير القيم والسلالم المعيارية التي كانت تشكل أسس هيكل المجتمع المحلي؛ قصد إبادة الشخص الجزائري، وما يحمله من أصول، ومن خصوصيات ثقافية وحضارية، وما يتضمنه من طاقات فكرية وعلمية (أولمان،2013م،الصفحة:03)، كأن به شوقا مبرحا إلى الانتقام من الإسلام، وإطفاء ما يكنه من حقد عليه..، والغاية هي محو الإسلام من الجزائر حتى تصفو له؛ فتنسى دينها، ولغتها، وتاريخها، وأمجادها..، وتصبح فرنسية الهوى، والعاطفة، والفكر، واللسان، والاتجاه؛ فيتخذ منها امتدادا لوطنه، وأمدادا لتوسعه. (آثار الإمام الإبراهيمي،74/5)

واستمرت العلوم تدرس في مختلف المساجد والزوايا، إلا أن الحالة العلمية قد لحقها ارتباك كبير من جراء وقائع الحرب، وأهوال الاحتلال، وهجرة العلماء، وتشتت كثير من أهل القبائل والقرى، غير أن ذلك لم يمنع وجود ثلة من العلماء نبغت في هذا العصر، وحافظت على علوم السلف وتقاليدهم رغم تلك الأعاصير، أما المستوى العلمي العام فقد انحط من

الناحية العربية انحطاطا كبيرا، وذلك نتيجة لازمة لما وقع أثناء الاحتلال من الحروب الطويلة، وارتحال عدة قبائل من أرضها، واشتداد الضيق ببعضها حتى لم تعد تفكر في العلم والتعليم، بل اقتصر همها على تحصيل القوت، فلم يحافظ على الحركة العلمية الإسلامية إلا بعض المدرسين في المساجد، وبعض الزوايا في جهات الجنوب، وبلاد القبائل، أما الكتاتيب القرآنية فقد أخذت تتلاشى شيئا فشيئا إلى أن اضمحلت من الوجود، وحلت محلها المدارس الابتدائية الفرنسية التي تلقن الصبيان تعليما لا ريح للدين والعربية فيه. (المدني، كتاب الجزائر،الصفحة:94)

والمذاهب الفقهية الرائجة خلال هذا العهد هي: المالكي، والحنفي، والإباضي؛ أما المالكي فهو مذهب الغالبية العظمى من السكان، وكان له مصادره في الكتاب، والسنة، وموطأ الإمام مالك، ومدونة ابن القاسم، ومختصر خليل بن إسحاق، وبتقادم الزمن أصبح مختصر خليل هو العمدة في الأحكام، والدروس، والفتاوى، وقد اعتمدته الإدارة الفرنسية أيضا في تعاملها مع الجزائريين؛ فكان المختصر مقررا في المدارس الرسمية، وفي المحاكم، وتسابق المستشرقون إلى ترجمته، والتعريف به. (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،7/76-77)

ومنذ الاحتلال أخذ عدد الأحناف يتضاءل؛ لأن معظمهم كانوا من العثمانيين، أو من نسلهم، ولكن السلطة الفرنسية قد استمرت في تعيين المفتين على المذهب الحنفي في بعض المدن الرئيسة؛ كالعاصمة، وقسنطينة، والمدية إلى أن اختفى وظيف المذهب من غير العاصمة، وكذلك أضعفت هذه السلطة-عن قصد- من سمعة ومكانة المفتي، والقاضي الحنفيين، وكان المفتي الحنفي "محمد بن محمود بن العنابي" أول من نفته السلطات الفرنسية بعد الاحتلال مباشرة (1830م)،وكان للحنفية كذلك مصادرهم في الفتوى والقضاء؛ ومن ذلك فقه الإمام أبي حنيفة، وكتاب "الدر المختار". (سعد الله،7/77)

وقد تعامل الفرنسيون مع المذهب الإباضي على مراحل، وأول اتصال لهم مع أصحاب هذا المذهب كان في العاصمة، ولكن في شكل نقابة كانت تمثل "بني ميزاب" فيها، فاعترفوا بها كتنظيم اجتماعي اقتصادي أكثر منه ديني، وكان أمين النقابة مسؤولا عن كل ما يصدر عن المنخرطين في تنظيمه دينيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وأمنيا..، ومنذ احتلال الصحراء في أوائل الخمسينات عوملت "ميزاب" معاملة خاصة؛ حين أعطيت نظام الحماية الفرنسية (1852-

1882م) مع الاحتفاظ بأمورها الداخلية من شعائر، وعزابة، وتعليم، وتجارة، وقضاء، ولكن في سنة 1882م شمل الاحتلال المباشر "ميزاب" أيضا، ورفع عنها نظام الحماية، وسمح لأهلها بممارسة شعائرهم حسب مذهبهم، وكان من أبرز رجال العلم عندئذ في المنطقة هو الشيخ أطفيش الذي كان المرجع لأهل ميزاب في الشؤون الدينية..، وباتفاق معه، ومع السلطات الفرنسية بواسطة المستشرق "إيميل ماسكري"؛أصبح "شرح كتاب النيل" هو المرجع الرئيس في المذهب الإباضي، وهو الكتاب المعتمد في المحاكم منذ عام 1886م. (سعد الله،7/77-78 و86-87)

المطالب الثاني: جهود علماء الجزائر في مجال الفقه الإسلامي (1518 - 1962م)

سنتناول في هذا المطلب أهم الجهود والإسهامات التي قام بها علماء الجزائر في خدمة الفقه الإسلامي خلال فترة الحكم العثماني (1518-1830م)، ثم خلال الاحتلال الفرنسي (1830-1962م)؛ وذلك من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: جهود علماء الجزائر خلال العهد العثماني.

رغم ما قيل عن المجال الثقافي عن الجزائر العثمانية، إلا أن حركة التأليف كانت كثيرة ونشيطة، بحيث لا نكاد نجد عالما إلا وله مصنفات عديدة في جميع المجالات، ولم تمنع مهام الوظائف الدينية والثقافية التي تولاها العلماء من وجود حركة التأليف والنسخ كوسيلة لانتشار الكتب (شدري،2006م،الصفحة:39 ومخفي،2017م،الصفحة:373)، سواء من خلال جهود العلماء أنفسهم، أو بتشجيع من بعض الحكام العثمانيين في بعض الفترات؛ مثل الباي "صالح"، والباي "محمد بن عثمان الكبير" الذي شجع الطلبة والكتبة على نسخ الكتب، واختصار ما طال منها، وكان يكافئهم بسخاء (الراشدي،2013م،الصفحات:143-144 و154-155 وابن هطال، 1969م،الصفحة:26 وسعيدوني، 1999م، الصحات:ص439-443 ومريخي،2017م،الصفحة:237 وبوشيبة،الصفحة:127)، فلم تكن فئة العلماء ظاهرة وليدة العهد العثماني، و لا هي ميزة خاصة بالجزائر دون بقية العالم الإسلامي. (كوثراني،1988م، الصفحة:44)

ولا نوافق ادعاءات بعض الرحالة الرامية أن الجزائريين لم يهتموا بأي علم من العلوم خلال العهد العثماني ما عدا دراسة القرآن؛ وذلك لعدة اعتبارات لعل أبرزها اكتمال معالم

الدولة الجزائرية بجميع مقوماتها خلال العهد العثماني، وأيضا أن تقارير الرحالة نسبية؛ نظرا لانحصار ملاحظاتهم في محيط جغرافي معين، فهم لم يتنقلوا بين ربوع الجزائر شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها، بل نجد بعض التقارير تقوقعت حول مدينة الجزائر كمقر للحكومة، وعاصمة للإيالة. (بوشيبة،الصفحة:137)

ولقد تميزت هذه الفترة بالركود العلمي، ومحاربة الاجتهاد الفقهي، فانتشرت المختصرات، وكثرت حواشيها، وحواشي حواشيها، وصرف الطلبة جهدهم، وملكاتهم العقلية في فهم رموز المختصرات، وقصد المؤلف منها..، وإن كان أكثرهم درس، ودرَّس المختصرات إلا أنهم نهوا على مخاطر الاقتصار عليها تدريسا، وشرحا، وتأليفا دون الرجوع إلى الأمهات، ودون اعتماد طريقة السلف في التأليف الذي يعتمد صاحبه فيه بالأساس على الكتاب والسنة، مستخدما لملكته الفقهية، وموظفا لأدوات الاجتهاد. (فيلالي،2014م،الصفحات:104-106 وبن يحي،2015م،الصفحة:30)

وكان حظ الجزائر من هؤلاء العلماء موفورا، وسعيهم بها مشكورا، فقد سايرت الجزائر موكب العلم والمدنية جادة في ذلك، حسبما سمحت لها الظروف، وتيسرت لها الأسباب؛ وكانت -كما لا تزال- كلما وجدت إلى ذلك فرصة اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج..، وبذلك أضحت الجزائر -يومئذ- تفاخر بأبنائها البررة البارزين في الحقل العلمي، وتعتز بهم كثيرا. (الجيلالي،1965م،253/2)

ومن الصعوبة بمكان أن نحصر إنتاج علماء الجزائر في الفقه الإسلامي خاصة الفقه المالكي والإباضي، فالحقيقة أنه كثير جدا، يصعب إحصاؤه، ذلك لأنه متنوع المناحي والأنواع، ما بين مختصرات، وشروح لهذه المختصرات، وحواش، وتعليقات على هذه الحواشي في الفقه والأصول، والنوازل، والفرائض، والقواعد الفقهية، وفي جميع أبواب، ومسائل ونكات الفقه (عبد التواب سيد،2015م،الصفحة:13)، إن محاولة ذلك تكاد تكون مستحيلة؛ فالإنتاج غزير، ومتعدد المشارب، تعدد قضايا الفقه نفسها. (سعد الله،66/2)

ورغم الجو المحافظ الذي كان يسود الجزائر خلال العهد العثماني، فإن بعض الفقهاء كانوا "متحررين" في تناولهم للمسائل الفقهية، ولقضايا العصر، والحياة الاجتماعية بصفة عامة، حقا إن أساس الانطلاق في التفكير الفقهي هو "مختصر خليل" على وجه الخصوص،

ثم "مختصر ابن الحاجب"، و"الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني، ولكن بعض الفقهاء كانوا يفسرون هذا المصادر تفسيرا غير جامد إذا ما اعترض طريقهم معترض. (سعد الله،65/2)

ومن أبرز العلماء الجزائريين الأعيان الذين خاضوا في علم الفقه-خلال هذ العهد-نذكر منهم:

- **أبو حفص عمر بن محمد الكماد المعروف بـ "الوزَّان" الأنصاري القسنطيني** [ت960هـ/1558م]: من أعلام الفقه المالكي في وقته، له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية، من أهل قسنطينة، كان فقيها معقوليّا. له كتاب سماه "البضاعة المزجاة"، وكتاب "المواقف على طريق الطوالع" وله أجوبة كثيرة في الفقه، تخرج عليه أكابر أهل العلم منهم: عبد الكريم الفكون الجد، وأبي الطيب البسكري، وعبد الرحمن الأخضري وجماعة. (ابن القاضي، 1970م،205/3)

- **أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الصفاقسي الجزائري** [963هـ-1555م]: عالم الجزائر الكبير، وإمامها الشهير كان من أهل الحديث والفقه والتصوف، وله تفسير، وعنه أخذ جماعة من أهل الجزائر وفاس، وفي سنة 959 هـ قدم مراكش سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين الأمير أبي عبد الله الشريف بقصد المهادنة بينهما وتحرير البلاد، كان فصيح العبارة، غزير المعرفة، كبير الشأن (الشفشاوني،1977م،الصفحات:126-127)، توفي بمدينة الجزائر.

- **أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغيَّر الأخضري** [ت983هـ/1575م]: من أهل بسكرة، أبرز من أنجبت الجزائر خلال ذلك القرن، ومن أخصبهم إنتاجا، ومن أوسعهم شهرة في ميدان التأليف، والتأثير في العالم الإسلامي، له "مختصر في فقه العبادات"؛ هذا المختصر الذي أحيا به علم الفقه في عصره، كان بمثابة رسالة ابن أبي زيد القيرواني في زمنه، وقد تنافس علماء المالكية مغربا ومشرقا على شرحه (عومري،2015م،الصفحات:47-49)، وله أيضا منظومة "الدرة البيضاء" في علم الحساب و الفرائض (ما يقرب من 500 بيت)، التي ضارعت ونافست منظومة

"الرحبية" لعلماء المشرق، وغير ذلك من الإسهامات والمشاركات التي أثبتت براعته في علم الفقه على مذهب المالكية.

- **مصطفى بن عبد الرحمن باش ترزي** [ت980هـ/1572م]: حافظ من أكابر فقهاء المذهب الحنفي، نشأ بقسنطينة، وولي بها الفتوى، ثم القضاء، له: "تحرير المقال في جواز الانتقال"، و "رسالة في الوقف" على المذهب الحنفي وغيرها.

- **سعيد بن إبراهيم قدورة** [ت1066هـ/1655م]: فقيه مالكي من مدينة الجزائر، تولى الإفتاء المالكي بالجامع الكبير بالعاصمة أكثر من قرن دون انقطاع (لزغم،2014م،الصفحات:27-29)، من آثاره: نوازل تلمسانية، ومراسلات مع علماء عصره، وكان موئل الفتوى على مذهب المالكية في نوازل عصره.

- **أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني** [ت1041هـ/1631م]: مؤرخ أديب، حافظ، كان آية في علم الكلام، والتفسير، والحديث، أخذ عن عمه سعيد المقري، له شرح على مختصر خليل سماه: "قطف المهتصر من أفنان المختصر"، وله أيضا "فتاوى في الحضانة". (مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: (2160)

- **الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني** [ت1073هـ/ 1662م]: كان عمدة العلم بقسنطينة وما جاورها من بلاد الزاب، وكان متفاعلا مع قضايا عصره صالحا مصلحا؛ من ذلك تأليفه كتاب: "محدَّد السنان في نحور إخوان الدخان"؛ تحدث فيه عن شيوع تناول "الدخان" بكثرة في الجزائر في عصره، معتبرا ذلك بلية، ومعضلة (العياشي، 2006م،2/521-529)، وله "تقييد في حبس (وقف).." (سعد الله، شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون،1986م،الصفحة:145 وما بعدها)، ومن كتبه الهامة في نقد التصوف البدعي: "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" (الفكون، منشور الهداية،1987م)، توفي بقسنطينة.

- **عمر بن محمد المنجلاتي القبائلي** [ت1104هـ/1693م]: من أهل بجاية، كان بحرا عميقا من العلم والفضل والتقوى، فقيه كبير، أصولي، ومنطقي، مشارك في كثير من العلوم، تخرج عليه في الجزائر طلبة علماء لا يشق غبارهم.

- **محمد بن الكماد القسنطيني الحسني** [ت1116هـ/1704م]: من أهل قسنطينة، كان أحفظ علماء عصره، رحل إلى المغرب، واستقر بمدينة فاس، وبها علت شهرته، له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة، دالة على مهارته، واتساع ملكته.

- **أبو الخير مصطفى بن رمضان العنابي** [ت1130هـ/1718م]: باحث، فرضي، من كبار فقهاء الحنفية، من آثاره: "الروض البهيج في أحكام العزوبة والتزويج"، ألفه بعد أن وقعت له أمور في زواجه، مات بمدينة الجزائر.

- **محمد المصطفى بن عبد الله الرماصي المعسكري** [ت1136هـ/1724م]: فقيه بلاد الراشدية "أم عسكر"، صاحب الحاشية على التتائي يقول في بعض أجوبته لأحد تلامذته متحدثا عن الخرشي في شرحه على خليل: "وأراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي الزرقاني، وذلك بمعزل عن التحقيق؛ لأن شرحه وشرح الخرشي لا نكترث بهما في بلادنا الراشدية؛ لعدم تحقيقهما، وعمدتهما كلام علي الأجهوري، وهو كثير الخطأ"، ومن جهة أخرى نرى نفس الفقيه "الرماصي" المذكور ألف رسالة أحصى فيها أخطاء الخرشي في شرحه على خليل، فعلى هذا ينبغي لكثير من معاصرينا إعادة النظر في أحكامهم، أو أحكام من اتخذوهم حجة عندما يحكمون على أولئك الجهابذة بالجمود والتعصب، وأنهم كانوا عالة على ما يصلهم من المشرق، وقد كانت بلاد "الراشدية" تبوأت مكانة في الفقه المالكي، وفي العقائد طيلة ثلاثة قرون. (الرماصي،حاشية على التتائي،2015م وحميد لحمر، 2012م، الصفحات:24-26 وبوعبدلي،الصفحة:169)

وحسبك من هذا دليلا أن حاشية مصطفى الرماصي على التتائي كان يعتمدها الشيخ الدردير في شرحه على "مختصر خليل"[1]، ويعتبر محمد بن القندوز المستغانمي تلميذ الدردير، أول من أدخل شرح الدردير إلى الجزائر، وذكر عنه أن الشيخ الدردير كان يعتمد على حاشية مصطفى الرماصي، ويقول: إن صاحبها محقق، وكان يرمز إليه في شرحه بـ:"طفى"، ومن بين عباراته قوله: "هذا حاصل ما حرره طفى". (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدرير)

1

قال النابغة الغلاوي في "البوطليحية" في ذكر الكتب، والمصادر المعتمدة في المذهب المالكي: (الغلاوي،2012م،الصفحة:33)

واعتمدوا حاشية للمصطفى *** على التتائي كسراج ما انطفى

وله أيضا أجوبة فقهية في غاية التحقيق على أسئلة فيما أشكل من كلام خليل. (أجوبة الرماصي على أسئلة بركة التطواني،2012م)

- **أبو العباس أحمد بن قاسم البوني** [ت1139هـ/1726م]: من كبار فقهاء المالكية في زمنه له كتب فقهية كثيرة منها: "فتح الإغلاق على وجوه مسائل خليل بن إسحاق"، و"فتح الشيك عن مسألة لبيك"، و"نور الشمعة المذهب لظلام أهل الرياء والسمعة في بعض مسائل الحجر والشفعة"، و"إعلام القوم بفضائل الصوم"، كان غزير الإنتاج، له نحوا من مئة كتاب في علوم متنوعة، ومن أهم بحوثه رسالة "الإعانة على بعض مسائل الحضانة" (مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: (2160)؛ فقد وردت عليه من قسنطينة رسالة يطلبون فيها منه إبداء رأيه كتابة في قضية "حضانة" انقسم حولها العلماء؛ وهي طفل ماتت أمه، وألف أباه ألفة كبيرة، وعندا طالبت به جدته لأمه (وهي حاضنته الشرعية) أبى وبكى، فما الحكم؟ فأجاب البوني بأن الوالد أحق بالطفل في هذه الحالة، وأضاف أنه ليس للجدة حق أصلا، وإن كان المشهور أن الحضانة حق لها، واستدل لأقواله من النقل، والعقل، وبرر أخذه برأي المتأخرين بقول القائل:

قُل لمن لا يَرَى المُعاصِرَ شَيئًا *** وَيَـــرَى للأوَائِلِ التَّقدِيمَا

إنَّ ذَاكَ القَــدِيمَ كَانَ جَدِيدًا *** وَسَيَبقَى هَذَا الجَدِيدُ قَدِيمَا

ورفض البوني الاعتقاد في القول القائل: "ما ترك الأول للآخر شيئا"؛ وهو ما يدل على أن روح الاجتهاد، والحرية العقلية ما تزال حية عند أمثال البوني. (سعد الله،2/81-82)

- **الحسن بن محمد المازوني** [ت1140هـ/1727م]: من كبار علماء مازونة في وقته، فقيه حنفي، من آثاره "تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك" أرجوزة في فرائض الفقه الحنفي، له شرح عليها سماه "منهاج السلوك".

- **أبو حفص عمر بن عبد القادر التنيلاني** [ت1152هـ/1739م]: من أعيان علماء منطقة توات، له كتاب "الأجوبة" جمع فيه فتاويه. (قزان،2013م،الصفحة:270)

- **أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري** [ت1160هـ/1747م]: من أعيان فقهاء منطقة توات في وقته، من آثاره: رسالة "المغارم"؛ رسالة صغيرة الحجم، أجاب فيها أحد قضاة "قورارة" عن حكم ما أخذه الناس أثناء حكم سلطان ظالم، وبأمره؛ تنكيلا بالهاربين من حكمه، ثم لما أنعم الله على أهل البلاد بالانفكاك عن سلطانه، ورجع الهاربون، طالبوا باسترجاع أموالهم، فاختلف فيها الفقهاء، وتحير القضاة. (قزان،2013م،الصفحات:272-277)

- **محمد بن عبد الرحمن بن الحاج اليبدري التلمساني** [كان حيا سنة 1179هـ/ 1766م]: كان من الفقهاء البارزين في زمنه، خدم "مختصر خليل" خدمة كبيرة في كتابه: "ياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخراشي" في أربعة أجزاء كبار، ألفه في فترة كان علماء معسكر لا يعتدون بشرح الخرشي، وذلك بعد تحقيق الإمام مصطفى الرماصي لمسائل المذهب في حاشيته على التتائي..، هذا الخلاف ترك لنا مآثر كثيرة من تآليف، ورسائل ساهمت في إثراء الإنتاج العلمي بالجزائر، وإثراء المذهب المالكي، وقد انقطع خبر ابن الحاج اليبدري بعد هجرته إلى الحرمين الشريفين. (بن نعوم،2022م،ص10-13)

- **أحمد بن عمار الجزائري** [ت1185هـ/1763م]، مفتي مدينة الجزائر ومدرسها، له رسالة في "الوقف"؛ احتوت على آراء اجتهادية، هاجم فيها ابن عمار الجمود العقلي في وقته، وضعف العارضة عند علماء عصره. (سعد الله،85/2)

- **عبد القادر بن محمد الراشدي** [ت1194هـ/1780م]: تولى القضاء والفتيا بقسنطينة مرارا، ومال إلى الاجتهاد، فسبب له متاعب، وعزل من القضاء، له "رسالة في تحريم الدخان"، وفتاوى، وغير ذلك.

- **أبو زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرى التلمساني** [ت1198هـ/1783م]: له "شرح كتاب البيوع".

- **محمد بن رجب الجزائري** [ت1200هـ/1786م]: عالم فاضل، من أهل مدينة الجزائر، من آثاره: "الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون"؛ ألفه عام 1786م، بعد انتشار الطاعون في مدينة الجزائر. (المدني،كتاب الجزائر،الصفحة:93)

- **ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم الثميني** [ت1223هـ/1808م] من "بني يزقن" بوادي ميزاب، مجدد النهضة العلمية في ذلك العصر بهاتيك البلاد، وتصانيفه القيمة الثمينة تشهد له بالتضلع، وغزارة العلم؛ فمن مؤلفاته الفقهية كتاب "التاج في حقوق الأزواج"؛ وهو أعظم كتاب جمع من التظلم العائلي، والحقوق الزوجية ما لا يفتقر إلى سواه..، وقد امتاز في كتاباته، وله أيضا: "التكميل لبعض ما أخل به النيل" ألفه في نوازل الأرض، وأحكام عمارتها، وله أيضا: "الورد البسام في رياض الأحكام"، وأهم مؤلفات الإمام الثميني على الإطلاق كتابه: "النيل وشفاء العليل"؛ وهو عمدة المذهب الإباضي في العبادات والمعاملات، وهو في تنسيقه وأسلوبه يقارب نمط مختصر خليل في الفقه المالكي. (طبع أولا بمصر طبعة حجرية في جزئين عام 1305هـ،ثم أعيد طباعته في الجزائر في ثلاثة أجزاء عام 1968/1967م)

- **محمد بن عبد الرحمن التنيلاني** [ت1233هـ/1812م]: من أعيان فقهاء منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر، من آثاره: "أجوبة محققة النقول مهذبة الفصول"؛ جمع فيه ما وقف عليه من أجوبة لبعض فقهاء بلاد توات. (باي بلعالم، الرحلة العلمية لمنطقة توات،2005م وكروم، الرحلات بإقليم توات،2007م وقزان،الصفحة:270)

- **الإمام الحافظ محمد أبو راس الناصري الراشدي المعسكري** [ت1238هـ/ 1823م]:من أشهر علماء معسكر الإمام الحافظ محمد أبو راس الناصري الراشدي [ت1238هـ/1823م]، درس في الجزائر على كثير من رجال العلم، كان متقنا لكل فن، حافظا لمذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم، له تآليف مفيدة بديعة سارت بها لعزتها الركبان، من مؤلفاته الفقهية: "درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخراشي": في ستة أسفار، و"الأحكام الجوازل في نبذ من النوازل"، وله أيضا: "ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، وغير ذلك الكثير. (الآغا المزاري،1990م. 1/349- 350

والحفناوي،1906م،الصفحات:332-333 وبوعزيز،1995م،2/234-244 و الصديق الصالح،2000م،13/1)

من ذلك مناقشة الإمام أبو راس الناصري لتسعة من علماء الوهابية في بلاد الحجاز ومناظرتهم حول كثير من القضايا الفقهية والتعبدية، دون السياسية؛ ومن ذلك: التسبيح بالسبحة، وهدم الأضرحة، وعلى ما يظهر فإنه استطاع إقناعهم بالحجة الدامغة من خلال نصوص قرآنية وسنية، مما جعلهم يتراجعون عن كثير من معتقداتهم، كما ناقشهم في مذهبهم من خلال قضية قصر الصلاة. (بوشنافي،2015م،الصفحة:216)

ومن القضايا الاجتماعية التي شغلت بال العلماء المسلمين عامة، وعلماء الجزائر خاصة قضية القهوة والدخان؛ فتناولوها من جانب الحلال والحرام، واختلفت فتواهم تجاهها، فمن الذين حرموها: أحمد المقري، وأحمد البوني، وعبد الكريم الفكون الذي خصها بمؤلف سماه "محدَّد السِّنان في نحور إخوان الدخان"...، أما أبو راس فناقش الموضوع مع علماء مدينة الجزائر بالجامع الأعظم، فاعتمد على مجموعة من فتاوى العلماء شرقا وغربا، ودعا لاجتنابها لأسباب صحية، وكان يرى أن الدخان شفه، مندرج ضمن المفسدات للعقول، وفيه إضاعة المال.(بوشنافي،الصفحة:216)

- **أحمد الطيب بن محمد الصالح العيساوي الزواوي** [ت1252هـ/1836م]: من كبار علماء المالكية في وقته، من آثاره منظومة في "أحكام الفتوى" تقرب أبياتها من الألفين، وله "تذكرة الحكام شرح مفتاح الأحكام"، و"نصرة الإخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان" أرجوزة، و"منهج الوصول" أرجوزة في علم الفرائض.

وما يمكننا استخلاصه أن علماء الجزائر العثمانية خاضوا في أغلب العلوم النقلية، وبرعوا فيها، وأضافوا إليها، غير أن أغلب كتب هؤلاء الأعلام ما زالت مجهولة، وموزعة على العواصم العربية والأجنبية. (عبو،الصفحة:190)

وهكذا يتضح أن مساهمة الجزائريين في العلوم الشرعية مساهمة عامة، ولو عثر على كل مؤلفاتهم أو جلها، ودرست دراسة متخصصة ونقدية، لخرجنا من ذلك بتراث غزير،

وعسى أن يتواصل البحث في هذا الموضوع الجليل؛ ذلك أنا عرفنا أن أساس التفكير الجزائري خلال العهد العثماني كان قائما على العلوم الشرعية، فدراسة هذه العلوم إذن ستكشف أكثر فأكثر نوعية هذا التفكير ومكانته. (سعد الله،88/2)

الفرع الثاني: جهود علماء الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي.

كانت المؤلفات الفقهية قليلة خلال هذا العهد، وربما يرجع ذلك إلى عدم حرية الفقهاء في تناول الموضوعات الفقهية حسب الشريعة الإسلامية؛ فقد كانت بعض أبواب الفقه محرمة في التدريس، والخطب، والفتوى؛ ذلك أن الإدارة كانت تخشى أن يستعملها العلماء في دفع الناس إلى المعارضة، والثورة، أو "التعصب"-كما كان الفرنسيون يطلقون على المعارضة-، وربما يرجع ذلك أيضا إلى ضعف الثقافة الدينية؛ فقد كان المصدر الوحيد لتخريج القضاة والفقهاء هي المدارس الثلاث التي أسستها الإدارة الفرنسية سنة 1850م،وهي مدارس لا يتجاوز مستواها في أغلب الأحيان الدراسة الثانوية في مصطلحنا اليوم، وربما مستوى المتوسطات. (سعد الله،76/7)

وفي هذا العهد من تاريخ الجزائر، ظهر عدة فقهاء مصلحين من أبرزهم:

- **حمدان بن عثمان خوجة** [ت1261هـ/1842م]: من الجزائريين الكراغلة، ولد بمدينة الجزائر، من أسرة حضرية عريقة ذات ثروة وجاه، وكان أبوه فقيها مقربا من السلطة الحاكمة بالجزائر، كان "حمدان خوجة" على دراية بمسائل الأصول، وعلم الكلام، والمنطق، والتاريخ، والطب، وأكسبته أسفاره العديدة معرفة أولية باللغتين الإنجليزية والفرنسية،من آثاره: "إمداد الفتاح" في الفقه الحنفي، وقام بترجمة كتاب "نور الإيضاح" لحسن بن علي الشرنبلالي في الفقه الحنفي، وهو كتاب ضخم يقع في حوالي 588 صفحة، وفيه مقدمة كتبها حمدان خوجة حوالي 1839م؛أي بعد هجرته إلى اسطانبول بحوالي ثلاث سنوات، الذي كان قد عين مترجما بدار الطباعة باسطانبول. (بن عبد الكريم،1972م،الصفحة:135 ونور الدين،1965م وسعد الله،78/7-88)

ولا يمكننا أن نغفل كتاب "المرآة" الذي ألفه حمدان خوجة سنة 1833م بباريس، هذا الكتاب الذي هو بالفعل الوثيقة الوحيدة ذات الأهمية الموضوعة من قبل جزائري عاصر أحداث الاحتلال الفرنسي للجزائر، وصورها ببراعة، والتي سلمت من التدمير والتخريب

الذي طال تراثنا قاطبة خصوصا المكتوب، ومن كتبه التنويرية التجديدية كتابه "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء" الذي ألفه باللغة العربية سنة 1836م،ثم ترجمه إلى التركية، وأهداه إلى السلطان محمود الثاني خان، وكان يهدف من وراء هذا العمل الجليل أن تطبق أفكاره التي حث فيها العالم الإسلامي على اليقظة، والأخذ بمعالم الحضارة الأوربية، وبنتائج التجارب التي توصلوا إليها للوقاية من الأمراض، وكيفية علاجها، كما نبذ التزمت، وألح على التفتح..، فألح على تطبيق الحجر الصحي الذي كان يسمى: (الكرنتينه / La quarantaine)، والذي كان معمولا به في أغلب بلدان أوربا. (حمدان خوجة،2006م،الصحات:ص3-5 وسعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث،1982م،الصفحة:167 وعميراوي،1987م،الصفحات:75-76 و81-82)

وتجدر الإشارة إلى أن اقتباس النافع من الغرب الأوربي هي نفس الفكرة التي تفطن لها رفاعة الطهطاوي المصري، الذي كان معاصر لحمدان خوجة، وقد قيدها في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" عندما كان إماما للبعثة المصرية بفرنسا. (رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز، 2011م)

- **شيخ الإسلام محمد بن محمود ابن العنابي** [ت1267هـ/1850م]: من أكابر فقهاء الحنفية في زمنه، ومن أوائل المجددين، ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي، بعد الاحتلال الفرنسي بسنة نفاه الفرنسيون، فتوجه إلى مصر، واستقر بالإسكندرية، وبها توفي، ألف كتابا هاما في موضوعه؛ وهو ضرورة منافسة الأوربيين في تقدمهم الصناعي، والتقني، والعسكري، والأخذ عنهم في ذلك، وتجاوزهم فيه؛ وهو كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود"، وقد أكثر فيه من نقول العلماء، وطالب فيه سلاطين "آل عثمان" بتجديد الدولة، وإصلاح النظم، وهاجم الفقهاء المتزمتين[1]. (سعد الله،85/2 ومخفي،الصفحات:381-382 وابن العنابي، 1983م،الصفحة:195)

- **قدور بن رويلة الجزائري** [ت1272هـ/1855م]: فقيه مالكي، كان مستشارا للأمير عبد القادر، له "رسالة في الفقه والسياسة" عليها تعليق لابن الحفاف مفتي مدينة البليدة،

1

التي أفتى فيها بوجوب هجرة المسلمين من البلاد التي يغلب عليها الكفار، وهذه الرسالة تبادل فيها الشيخ بن رويلة مع المفتي مصطفى الكبابطي الذي كان لا يرى وجوب الهجرة من العاصمة بعد احتلالها من الفرنسيس، توفي ببيروت الشام.

- **حميدة بن محمد العمالي الجزائري** [ت1290هـ/1873م]: حافظ، قاض، محدث، من كبار فقهاء المالكية في وقته، من آثاره رسالة في "أحكام مياه البادية"، ورسالة في "ترتيب أحكام القضاء"، وفتاوى تزيد مسائلها على (300).

- **الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري** [ت1300هـ/1883م]: الأمير المجاهد، المصلح العظيم، مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، العالم الفقيه، ولد في "القيطنة" من قرى "معسكر" في الغرب الجزائري، وبالنسبة لإصلاحات الأمير عبد القادر بخصوص الوظائف الشرعية؛ فقد عين في كل عمالة، وكل دائرة واسعة الأنحاء قاضيا عالما بفصل القضايا الشرعية على مذهب مالك، وشرط أن يكون فقيها نزيها، مشهورا بالعفاف، والقيام بأمور الدين، وربط هؤلاء القضاة بمراجعة قاضي القضاة، ورتب في سائر المدن والقرى علماء لتدريس العلم، وعين لهم مرتبات على حسب طبقاتهم..، وحصل من ذلك نجاح عظيم، وانتشر العلم في جميع المقاطعات..، وكانت الكتب حينئذ قليلة في البلاد، فاجتهد في جمعها من كل جهة، وعزم ترتيب مكتبة جعلها في "الزمالة"، لكن تلفت كلها في وقعة "عين طاقين" سنة 1843م؛لما هجم ابن ملك فرنسا "الدوق دومال" على الزمالة عاصمة الأمير المؤقتة. (وابن الأمير، تحفة الزائر، 1/120-132 والميلي وشريط،الصفحات:187-190 وبوعزيز، الأمير عبد القادر،1983م، الصفحات:140-142 وسعد الله، محاضرات، 1982م،الصفحات:171-172 وأدريان، مع الأمير عبد القادر،2006م وأباظة، الأمير عبد القادر الجزائري،1994م)

- **علي بن الحفاف الجزائري** [ت1307هـ/1890م]: من فقهاء المالكية المعدودين في زمنه، التحق بالأمير عبد القادر، وولي له ديوان الإنشاء بمليانة، تولى الإفتاء بالبليدة، ثم بمدينة الجزائر، هو صاحب الفتوى التي حكم فيها بالكفر على علماء مدينة الجزائر الذين لم يهاجروا بعد الاحتلال الفرنسي، ويلتحقوا بالجبال.

- **محمد بن عبد الرحمن الديسي** [ت1325هـ/1908م]؛ من أعيان فقهاء زمنه، تلقى علومه بزاوية "الهامل" ببوسعادة، وبها درس حتى توفي، له مؤلفات عديدة، وأبحاث سديدة. (المدني، كتاب الجزائر،ص94-95)

- **عبد القادر بن محمد المجاوي** [ت1332هـ/1913م]: من كبار علماء الجزائر وأعيانها في وقته، حل بمدينة قسنطينة سنة 1869م، وراح يتعاطى تدريس، فخرَّج أفواجا من القضاة، والمترجمين، والمدرسين، والأئمة، والوعاظ، كان موظفا في المدارس الشرعية الفرنسية بالعاصمة، وفي سنة 1873م، عينته الحكومة الفرنسية مدرسا فيها بجامع سيدي الكتاني، ثم في عام 1877م تولى التدريس بمدرستها، وفي سنة 1898م رقي إلى التدريس بمدرسة الجزائر العليا، وفي 1908م منح الإمامة، والخطابة بجامع سيدي رمضان بالعاصمة، لقب بـ"أبي النهضة الجزائرية الحديثة"؛ لأنه الرجل الذي استطاع تكوين جيل من العلماء الكبار الذين قادوا النهضة الحديثة، والحركة الإصلاحية، مستغلا التعليم، والوعظ، والتأليف، والصحافة دون أن يدخل في صدام مع السلطة الفرنسية، ألف عدة مؤلفات منها: إرشاد المتعلمين، الإفادة لمن يطلب الاستفادة، المرصاد في مسائل الاقتصاد، تحفة الأخيار في الجبر والاختيار.. وغيرها، أشار فيها إلى العلوم الحديثة لا تتعارض مع الإيمان، بل تخدمه، وتعز الدين، وتدعمه وتنميه، وتعتبر أفكاره هذه هي اللبنة الأولى للنهضة الإصلاحية في الجزائر. (المجاوي، المرصاد في مسائل الاقتصاد، 2012م،ص08 ونويهض،الصفحة:287 وقوبع،2012م،الصفحات:37-38 وفيلالي،الصفحات: 75-80)

- **محمد بن مصطفى الخوجة الملقب بـ"المضربة"، والمشهور بالشيخ كمال** [ت1333هـ /1915م]،صاحب الثقافة المزدوجة (العربية والفرنسية)، الذي كانت له مواقف معروفة في مقاومة الاستعمار، ويعد من أوائل تلاميذ الأستاذ "محمد عبده" الذين نشروا مبادئه الإصلاحية خارج مصر، وقد كانت له عدة اتصالات بأقطاب الإصلاح؛ كالشيخ محمد رشيد رضا، ومحمد الخضر حسين، ومن آثاره التجديدية: كتاب "الاكتراث بحقوق الإناث" 1895م، و"تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان" 1896م، و"نيذة وجيزة في معنى الدين والفقه" 1902م، و"السمط الدري في مسائل تتعلق

بالجدري"، وغيرها من التصانيف المفيدة. (أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة،2012م،الصفحات:9-11)

ونلاحظ من خلال مطالعة تآليفه روح التجديد الفقهي السارية، وأنه فقيه ابن بيئته، خبير بأعراف قومه، يصف الداء، ويشخص بحكمة وبراعة ما يناسب من دواء، لا يستصدر كتابا حتى يراجع فقهاء وقته من أعلام الجزائر أمثال مفتي المالكية محمد ابن زاكور، ومفتي الحنفية محمد بوقندورة وغيرهم.

- **القاضي شعيب بن علي الجليلي التلمساني** [ت1346هـ/1928م]: من أعيان فقهاء المالكية في زمنه، تولى قضاء تلمسان حتى وفاته تقريبا، وقد استقبل الإمام ابن باديس في بيته عند زيارته التاريخية إلى تلمسان عام 1918م، من آثاره الفقهية كتاب: "تحرير المقام وتيسير المرام إلى حفظ مال المحاجير من السفهاء والأيتام"؛ ألفه بطلب من الوكيل العام بالجزائر آنذاك، وله رسالة "الإفتاء بهلال رمضان"؛ وهي عبارة عن رسالة قصيرة، غزيرة المعنى جاءت بعنوان: "المقالة المسهبة الحسنة في عدم اعتبار الأخبار المفاضة على الألسنة إذا لم يوجد لها أصل ولا بينة"، اشتهر القاضي شعيب بذكائه الحاد في حل النزاعات، والقضايا العويصة، ومن ذلك ما أجاب به عن مجموعة أسئلة سنة 1900م، وردت عليه من النواب، حول التشريعات التي وضعتها فرنسا بخصوص: (الأوطان العرشية، أراضي الملك، والعقارات الداخلة تحت الشريعة الفرنساوية)، وغير ذلك. (صغير،2011م)

ومن الدراسات الهامة التي ألفها ولده المسمى أبو بكر عبد السلام بن القاضي شعيب كتاب "العرف في منطقة تلمسان"؛ الذي نشر عام 1906م بتلمسان، يتكون من (116) صفحة؛ تناول فيه ما اعترفت به الشريعة من القوانين (الأعراف) الجارية، وهي غير مكتوبة، ولا عقود لها؛ مثل: اشتراك الفلاح، والمزارع، والخماس، واشتراك مالك بستان مع مزارع، ومالك الأرض مع بحار (من البحيرة)،وكذلك المغارسة، والشركة في النحل، وفي الرعي، وحفظ المطامير، وهذا النوع كثير في المنطقة، والشركة في الحمامات، والمقاهي، والأفران، وفي الطواحين، والصناعات..، والأعراف في المواليد، والختان، والأعراس، والوفيات. (سعد الله،86/7. ومجلة العالم الإسلامي، أكتوبر 1908م،الصفحات:373-374)

- **أبو القاسم محمد الحفناوي الديسي** [ت1361هـ/1941م]: مفتي المالكية بمدينة الجزائر منذ عام 1936م، مؤلف الكتاب المشهور: "تعريف الخلف برجال السلف"، من مؤلفاته الفقهية: "دفع المحل في تربية النحل"، و"القول الصحيح في منافع التلقيح"، و"الخبر المنتشر في حفظ صحة البشر".

- **أحمد لعيمش**: محامي له اتصال وثيق بالفقه الإسلامي، والقانون الفرنسي، وكان مدرسا في مدرسة تلمسان الرسمية، وعضوا في عدة لجان تهتم بموضوع الشريعة، فقد ترجم جزءا من كتاب "بداية المجتهد" لابن رشد؛ وهما: بابي الزواج، والطلاق، والمعروف أن المحاكم الإسلامية لم يبق لها منذ آخر القرن التاسع عشر ما تنظر فيه من المسائل الفقهية في المعاملات سوى الأحوال الشخصية؛ لأن ذلك هو الميدان الذي سمح به القضاء الفرنسي للقضاء الإسلامي، وكان يعبر عن ذلك بالأحوال الشخصية، وصدرت الترجمة الفرنسية عام 1926م في 306 صفحة، ويغلب على الظن أن الهدف كان توفير مادة الفقه، والأحكام الشرعية للمحاكم الفرنسية، وأيضا للمستفيدين في المحاكم الإسلامية. (سعد الله،95/7 و 110)

- **الهاشمي بن بكار** [ت1390هـ/1970م]: مفتي "معسكر" في وقته، من تآليفه المشهورة للمسائل المستجدة في ذلك الوقت كتاب "رفع الإشكال والمرا في حكم غرس العنب وبيعه لمن يعصره خمرا،وكان بعضهم قد سأله عن حكم ذلك؛ فجمع أقوال الفقهاء على المذاهب الأربعة كما قال..، وتوسع في الأقوال المذكورة، وانتهى إلى الجواز (الإباحة)،والمبرر هو تفادي افتقار المسلم؛ حتى يضطر إلى بيع أرضه، ويصبح بعد ذلك عاملا مبخوس الأجر هو وزوجته عند النصارى. (بوعزيز،251/2 و سعد الله،85/7)

- **ابن علي فخار**: من أهل تلمسان، درس في "ليون" بفرنسا القانون، وتخصص في الشريعة الإسلامية، يعتبر تأليفه: "الربا في الشريعة الإسلامية وعواقبه العملية" من أهم الدراسات التي أجراها الباحثون الجزائريون إبان فترة الاحتلال الفرنسي؛ وهي أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والاقتصادية، كان قد ناقشها في كلية الحقوق بجامعة ليون سنة 1908م،ودار محتواها على كون الربا من الجاهلية، وأبطله الإسلام، وأن الإسلام حرر التجارة، وأجاز القرض بدون فائدة..، وقد ألف بن علي فخار بحثا ثانيا

بعنوان "القراض في الشريعة الإسلامية" لنيل الدكتوراه في القانون..، وقد توصل إلى نتيجة مفادها أن القراض كان موجودا في الإسلام، وأن الغربيين قد استعاروه من المسلمين، وتقول المصادر الفرنسية إنه أول دكتور جزائري (مسلم) يحصل على الدكتوراه في القانون. (سعد الله،6/242-243 و7/82-83. ومجلة العالم الإسلامي، جوان 1908،الصفحات:361-363 و يناير-فبراير 1909م،الصفحات:186-188 و 1911م،الصفحات:ص282-283)

- **العلامة الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس** [ت1359هـ/1940م]: من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، أحدث في قسنطينة وما جاورها، بل الجزائر كلها نهضة علمية أدبية أينعت، وآتت ثمارها، أودع فقهه التجديدي في كتاباته على الجرائد والصحف؛ كـ "الشهاب"، و"الصراط"، و"السنة المحمدية"، و"الشريعة"..، وأيضا في تفسيره حول فقه آيات الأحكام: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" الذي اشتغل به تدريسا زهاء 14 عاما، وله أيضا: "مجالس التذكير من كلام البشير النذير" في فقه أحاديث الأحكام. (بن باديس، أصول الفقه آيات وأحاديث الأحكام،1985م ومجالس التذكير ،1983م)

- **محمد البشير الإبراهيمي** [ت1385هـ/1965م]؛ أحد رجال الإصلاح الإسلامي، عضو المجامع العلمية العربية في القاهرة، ودمشق، وبغداد، يعتبر دائرة معارف عربية إسلامية حية، أودع فقهه التجديدي في كتاباته، ومن آثاره كتاب "حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام"، وقد بدأه أيام إقامته في دمشق حوالي 1916-1920م،ثم أتمه بعد ذلك على فترات، ومن موضوعاته: مصادر المال في الإسلام، وغيرها من مصادر الثروة. (آثار الإمام الإبراهيمي،1997م ونويهض، الصفحات:13-14 وسعد الله،7/94)

- **إبراهيم بن عمر بيوض** [ت1401هـ/1981م]: مصلح إسلامي كبير، من أعيان فقهاء الإباضية بوادي ميزاب، ومن رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمع تلاميذه تراثه الفكري والفقهي من خلال دروسه، ومن ذلك فتاويه الفقهية في جزأين، ومن أمثلة أجوبته "الصلاة وراء المخالفين في المذهب"،

و"الإحرام من جدة للحجاج المغاربة"، وغير ذلك. (فلوسي،2002م،الصفحات:271-276)

ومن المناقشات اللطيفة التي دارت بين الفقهاء الجزائريين مسألة "وجوب الزكاة في أوراق المصارف (البنوك)"؛فقد قال بعدم إخراج الزكاة فيها كل من الشيخ المهاجي، والحاج منور، والشيخ محمد الصالح القسنطيني الذي جاءته ردود عديدة كانت شعرا، وبعضها نثرا؛ من ذلك نظم لأحمد مفتاح بن عبد الباقي أحد المشتغلين بالقضاء في "قمار"، كما رد عليه الطاهر العبيدي السوفي نزيل مدينة "توقرت"، واستدل العبيدي بآراء بعض العلماء المعاصرين أمثال: محمد الخضر حسين، والطاهر بن عاشور، والمكي بن عزوز. (سعد الله،84/7)

والحق أن الجزائريين كانوا أول من نادى بالتضامن بين المسلمين، وبإصلاح الإسلام، مستفيدين من التجربة الأوربية، وبقيادة جديدة في العالم الإسلامي، وقد كان "حمدان خوجة" الجزائري أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوربية..، كما برهن الأمير عبد القادر كمحارب ومفكر أنه كان مصلحا إسلاميا في اتجاهه. (سعد الله، الحركة الوطنية،1992م،109/2-110)

ونختم بقول الإمام البشير الإبراهيمي عن الأمة الجزائرية الإسلامية المجيدة: "إن في نفس هذه الأمة قبسا من الحياة ،يشع منه نورها؛ فإذا هي مهدية، وتنقدح منه نارها؛ فإذا هي قوية، وإن هذا القبس لا يخبو ما دام الإسلام والعربية". (آثار الإمام الإبراهيمي،293/1)

ونستشف من عبارة الإمام البشير الإبراهيمي أن الجزائر تربة خصبة تنبت العلماء الأفذاذ المجددين المصلحين في جميع مجالات العلم، لا سيما جانب العلوم الشرعية التي أسهم فيها علماءها بالنصيب الوافر، الذي شهد به كل من درس علومهم، أو اطلع على إنتاجهم العلمي.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذه الدراسة، يمكن إجمال أهم النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

- كانت الأوضاع الثقافية خلال العهد العثماني تسمح للعلماء الجزائريين بالاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي؛ وهو ما ظهر جليا في الإنتاج المعرفي العالمي الزاخر، رغم عدم الاهتمام العثماني بتطوير العلوم الشرعية، وتفويض الأمر إلى العلماء.

- فرض الاحتلال الفرنسي أوضاعا ثقافية محبطة، وغريبة الأنماط عن الشعب الجزائري، وحجر على العلماء الاجتهاد، وقيد أيديهم عن محاولات التجديد الفقهي؛ عبر سياسات النفي، والتهميش، والعزل، وتكوين طبقات علمائية مفرنسة تابعة، ونشر سياسة التجهيل، ومحاولة محو الشخصية الجزائرية المتوارثة.

- تميز الفقه الإسلامي خلال العهد العثماني بكثرة النقول، والشروح من جهة، والتأليف ذو الجدة من جهة أخرى خاصة في النوازل والفتاوى، قام بعبء التجديد الفقهي علماء جهابذة، وصل إنتاجهم العلمي إلى حواضر العلم في العالم الإسلامي.

- لم يخضع العلماء الجزائريون خلال الاحتلال الفرنسي للأوضاع المفروضة عليهم، بل حاولوا باستماتة، ومخاطرة المحافظة على التراث الفقهي المؤمن بأيديهم، وتكيفوا مع تلك الأوضاع، محاولين خدمة الفقه الإسلامي، وتجديده، حتى توجت تلك المجهودات بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حملت على عاتقها مهمة التجديد والإصلاح، فقدمت للأمة الجزائرية والإسلامية علماء أفذاذ ملؤوا الدنيا، وشغلوا الناس.

التوصيات والاقتراحات:

- دراسة تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني، والاحتلال الفرنسي لا تزال تحتاج إلى الكثير من البحث المعمق الدقيق.

- إنشاء مراكز بحثية متخصصة في رصد، وجمع، وحشد، ونسخ، وتحقيق الإنتاج المعرفي لعلماء الجزائر منذ الفتح الإسلامي، يقوم عليها أستاذة أكاديميون باحثون أكفاء، مع تخصيص الأغلفة المالية المعتبرة من الدولة؛ من أجل أداء هذه المهمة النبيلة التي لا تنوء بالعصبة أولي القوة.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن العنابي محمد بن محمود، السعي المحمود في نظام الجنود، تحقيق محمد بن عبد الكريم، موك الجزائر، 1983م.
- ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال (ذيل وفيات الأعيان)، الترجمة:1203، ت محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1390هـ-1970م.
- ابن هطال أحمد التلمساني، رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب،القاهرة،ط1، 1969م.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط1، 1992م.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزار الثقافي ،بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط1، 1998م.
- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون (داعية السلفية)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ-1986م.
- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية،الجزائر، 1324هـ-1906م.
- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر ،1324هـ-1906م.
- أبو عبيد الله محمد بن أبي القاسم الغلاوي النابغة الشنقيطي، البوطليحية، تحقيق حميد بن محمد لحمر، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م.
- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي وعيون البصائر، جمع أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- أجوبة الرماصي على أسئلة بركة التطواني فيما أشكل عليه من كلام الشيخ خليل، تحقيق عبد الفتاح مغفور وعبد الباسط صيد، مطبعة ذاكرة الأمة، الجزائر، 2012م.
- أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م.
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، القاهرة، 1350هـ-1928م.
- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون سنة نشر.
- أدريان بيربروجير، مع الأمير عبد القادر (رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة)، 1839م، ترجمة أبو القاسم سعد الله، مطبعة الطباعة العصرية، الجزائر،2006م.
- أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة [1283-1333هـ/1865-1915م]،منشورات خمسينية جامعة الجزائر[1962 -2012م]،جامعة الجزائر، الجزائر،2012م.

- الآغا بن عودة المزاري طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990م.
- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر،2006م.
- حميد بن محمد لحمر، فتاوى مالك الصغير: الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، جمع وتحقيق وترتيب، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م.
- خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 1432هـ-2012م.
- رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007م.
- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011م.
- سعيدوني ناصر الدين، من التراث الثقافي التاريخي والجغرافي للغرب الجزائري (تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين)، دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1، 1999م.
- سومية أولمان، دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه "إرشاد المتعلمين" في الصمود الفكري بالجزائر، الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، 2013م.
- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ت محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط،1977م.
- الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، موفم للنشر والتوزيع،الجزائر،2000م.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت،لبنان،ط2، 1400هـ-1980م.
- عبد الحميد بن باديس، أصول الفقه آيات وأحاديث الأحكام من أمالي الإمام عبد الحميد بن باديس، تحقيق محمد الحسن فضلاء، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1405هـ-1985م.
- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 1403هـ-1983م.
- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1385هـ-1965م.
- عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2014م.
- عبد القادر المجاوي،إرشاد المتعلمين، ت عادل بن الحاج همال الجزائري،دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م.

- عبد القادر المجاوي،المرصاد في مسائل الاقتصاد، تحقيق علي تايليت،منشورات خمسينية جامعة الجزائر،2012م.
- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ-1987م.
- العياشي أبي سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية، ت سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي،ط1، 2006م.
- كروم عبد الله، الرحلات بإقليم توات (دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات)، دار دحلب، الجزائر، 2007م.
- كوثراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي في تاريخ الولايات العثمانية، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1 ،1988م.
- مارسيل أجريتو، الوطن الجزائري، ترجمة عبد الله نوار، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1959م.
- محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية لمنطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومه، الجزائر، 2005م.
- محمد بن الحاج اليبدري،تنوير قلوب أهل التقوى والمعارف بذكر نسب سادات غريس الموسومين بالمشارف، تحقيق صلاح الدين بن نعوم، نور للنشر، الجزائر،1443هـ-2022م.
- محمد بن عبد الكريم،(حمدان بن عثمان خوجة)، بيروت: دار الثقافة،1972م.
- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 2013م.
- مصطفى الرماصي المعسكري الجزائري، حاشية على التتائي على خليل، تحقيق مصطفى بن حسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،2015م.
- المهدي بوعبدلي، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة،العدد:08، 1392هـ/1972م.
- المهدي بوعبدلي، جوانب من تاريخ الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984م.
- نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري: العالم المجاهد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1414هـ-1994م.
- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، مطبعة البعث، قسنطينة، ط1، 1965م.
- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.

- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1، 1995م.
- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1995م.

الرسائل الجامعية:

- عميراوي حميدة، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية[1827-1840م]،ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة،1983م،مطابع دار البعث،قسنطينة،الجزائر،ط1، 1407هـ-1987م.
- رشيدة شدري، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر: فترة الدايات (1671 - 1830م)،رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،2006م.
- آمال صغير، القاضي شعيب بن علي الجليلي التلمساني (حياته وآثاره)، ماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 1431هـ-2011م.
- لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (1520-1830م)، دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،الجزائر،1435هـ-2014م.
- عبد الرؤوف قرناب، جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي (1830-1962م)، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص: مقارنة الأديان، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة،1436هـ/2015م.
- عومري عبد الحميد، عبد الرحمن الأخضري ودوره في حركة التجديد والإصلاح، ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، الجزائر،1436هـ-2015م.

المقالات والملتقيات العلمية:

- بن يحي أم كلثوم، عناية علماء الجزائر بالمختصرات الفقهية (تأليفا وشرحا وتدريسا)، مجلة المدونة، مجمع الفقه الإسلامي، الهند، السنة:01، العدد:03، 1435هـ-2015م.
- ذهبية بوشيبة، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي،العدد:3-4.
- رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، المجلد:05، العدد:12، ديسمبر 2017م
- زهير قزان، تطبيقات القواعد الفقهية في النوازل التواتية، الملتقى الدولي التاسع للمذهب المالكي: تقعيد الفقه المالكي وتقنينه، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ودار الثقافة، ولاية عين الدفلى، 27-28 جمادى الآخر 1434هـ الموافق:07-08 ماي 2013م.
- عبد التواب سيد محمد إبراهيم جاد، جهود علماء الجزائر في خدمة الفقه الإسلامي، مجلة المدونة، مجمع الفقه الإسلامي، الهند، السنة:01، العدد:03، 1435هـ-2015م.

- عبد القادر قوبع، الشيخ عبد القادر المجاوي ونشاطه الإصلاحي، أعمال الملتقى الوطني بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2012م.
- مخفي مختار، دور علماء الجزائر اجتماعيا وسياسيا خلال العهد العثماني (1518-1830م)، مجلة متون، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر،سعيدة،المجلد:08،العدد:04، 2017م.
- مسعود فلوسي، الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وتفسيره "في رحاب القرآن"، الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن بيوض، 08-09 محرم 1421هـ الموافق: 13-14 أفريل 2000م، المطبعة العربية، غرداية، 2002م،.
- مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830م)،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكرت،المجلد:05،العدد:16، أفريل 2013م.